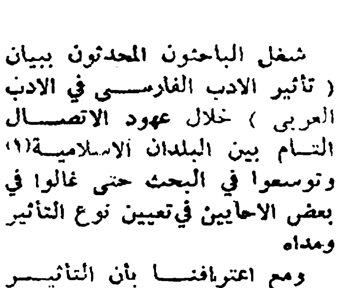
من مظاهر تأثير الأدب العربي في الأدب الفارسي

احمد نصيف الجنابي





شغل الباحثون المحدثون ببيان (تأثير الادب الفارسي في الادب العربي) خلال عهود الاتصال التام بين البلدان الاسلامية(١) وتوسعوا في البحث حتى غالوا في بعض الاحايين في تعيين نوع التأثير ومداه

ومع اعترافنا بأن التأثير موجود ، ولكن لا كما صوروه أو أرادوا تصويره . ومع كثرة البحوث التي تناولت تأثيرات الادب الفارسي في الادب العربي فلا نجد تلك الكثرة في بحث (تأثير الادب العربي في الادب الفارسي) ، مع وجود [تأثيرات متبادلة] بين الادبين . ولهذا بحثت في تأثير الادب العربي في الادب الفارسي ومظاهره .

مظاهر التأثير :

(أولا) أول مظهر للتأثير ترك كثير من اهالي ايران بلادهم الى «بغداد» أو غيرها من عواصم البلدان الاسلامية ، وامتزاجهم بأهلها ، لان الاسلام قد جمع بينهم فهو وطن وجنسية ولم يكن احدهم يحتاج الى شيء لكي يدخل اي بلد من بلاد الاسلام سوى الاسلام · حتى في عهود التفكك السياسي في القرن الخامس والسادس وحتى السابع والثامن وما بعدها · وقد حدث الامتزاج منذ القرن الثاني الهجري · حتى اتى زمن لا يعرف فيه الابناء لغة آبائهم واجدادهم ، وتأريخ الادب زاخر بهذه الاسماء(٢)··· وكان قسم من الادباء المعروفين في تأريخ الادب يتقن الفارسية والعربية(٣)· وأشهر هؤلاء (سعدي الشيرازي) شاعر ايران العظيم الذي امتد اثره الى اوربا فأثر ، على وجه الخصوص ، في شاعر المانيا الشهير جوته(٤) · ومعنى ذلك ان الادب العربي أثر في الادب الالماني عن طريق سعدي بصورة غير مباشرة ·

(أ) حافظ وجوته والادب العربي :

لقد أثر حافظ في الادب الالماني وخاصة في أدب جوته Goethe تأثيرا واضحا(٥) ، وقد صرح بذلك جوته نفسه في ديوانه الذي سماه « الديوان الشرقي » ، الذي مجد فيه الشيرازي وعظمه · فقد خصص في ديوانه هذا كتابا سماه (كتاب حافظ)(٦) وقد اعلن جوته عن هذا الكتاب في المجلة الشرقية (سنة ١٨١٦ رقم ٤٨ صفحة ١٨٩) ، ما يأتي: (هاهو ذا كتاب حافظ ، وقد كرس لوصف هذا الرجل العظيم وتقديره وتمجيده · كما أن به تعبيرا عن الصلة التي تربط بين الشاعر الفارسي والشاعر الالماني الذي تحمس له وتعلق به الى درجة من الوجد هائلة ونعته هنا بأنه لا يستطيع أن يبلغ شأوه ، ولا أن يلحق به) · وسمي الكتاب التالي: (كتاب العشق او عشق نامه)(٧) وهو مأخوذ عن سعدي أيضا · وفي الديوان اشارات كثيرة الى حافظ وتصريحات واضحة على لسان جوته بأنه تأثر بحافظ واقتفى أثره(٨)·

(ب) حافظ والادب العربي

ولد مصلح الدين عبدالله بن شرف بن مصلح بن شرف المعروف بالشيخ سعدي في شيراز (كما يقول في گلستان صفحة ١٣٦) في أوائل القرن الرابع الهجري · وكان رجال اسرته كلهم علماء · ومات والده وهو طفل (راجع كتابه بوستان صفحة ٧٠) وفارق شيراز لانها كانت مضطربة (قبل سنة ٦٢٣هـ) فأتى بغداد(٩) وأقام بها مدة طويلة ودرس في النظامية واتصل بأساتذتها وأشهر من اتصل بهم :

١ ـ ابو الفرج عبدالرحمن بن محيي الدين المعروف بأبن الجوزي ويقول سعدي عنه :«أمرني الشيخ الاجل أبوالفرج ابن الجوزي بترك السماع»(١٠)٠

٢ ـ شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد السهروردي ، وهو غير السهروردي صاحب المذهب الاشراقي المعروف المقتول سنة(٥٨٧ هـ = ١١٩١م) واسم الاخير يحيى بن حبش بن اميرك السهروردي(١١)٠

وقد عاصر السعدي سقوط بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم وقتل كثير من أهلها سنة ٦٥٦ للهجرة ، فرثاهم بقصيدته العربية المشهورة التي تزيد على تسعين بيتا ٠ واولها :

حبست بعيني المدامع لا تجري	فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها	تمنيت لو كانت تمر على قبري
لان هلاك النفس عند أولي النهى	احب لهم من عيش منقبض الصدر
تسائلني عما جرى يوم حصرهم	وذلك مما ليس يدخل في الحصر
أديرت كوءوس الموت حتى كانه	روءوس الاسارى ترجمن من السكر
بكت جدر المستنصرية ندبة	على العلماء الراسخين ذوي الحجر

وسافر من بغداد الى الشام وتركيا (بلاد الروم آنذاك) وزار كثيرا من الممالك الاسلامية ثم رجع الى بلدته شيرازومات(١٢) هناك سنة (٦٩٤ هـ) واكثر سعدي الاقتباس من الامثال العربية والقصص وتجدها مبثوثة في ثنايا كتابه « كلستان » ٠ وقال مجد العلى « اغلب قصص كلستان الاستاذ الاجل سعدي ـ مثل أكثر الكتب الفارسية المعتبرة ـ ترجمة من الاخبار والآثار العربية»(١٣)٠

كما أنه أكثر من أخذ معاني الشعر العربي وخاصة من (المتنبي) :
فقد أخذ من معاني المتنبي ما يزيد على مائة معنى(١٤) وأعجب بالمتنبي كثيرا ، وهو القائل : « كنت انظر في جزء من شعر المتنبي سفينة بحر المعاني الحافل بالدر النفيس»(١٥)٠

وقد تأثر سعدي بغير المتنبي ولكن تأثير المتنبي فيه لا يقارن بغيره ٠ فقد « كان سعدي عارفا معاني اللغة العربية كامل الاطلاع على دواوين شعرائها ، وقد استعمل تلك المعاني بمهارة تامة(١٦)»٠

(ثانيا) ومن مظاهر التأثير (المتبادل) ، ذلك الامتزاج العجيب بين الموءلفات الادبية التي كتبت بالفارسية حتى « ان كثيرا من الموءلفات الادبية في هذه الفترة لم تكن فارسية خالصة وليست عربية خالصة ، بل انها مزيج من ذلك ٠ حتى الكتب الفارسية كانت تجمع كثيرا من الاستشهادات العربية الخالصة»(١٧)٠

فالراوندي يروي في كتابه (راحة الصدور) كثيرا من الشعر العربي الخالص(١٨) مع ان الكتاب فارسي ٠ والدراسة الفاحصة لكتاب « حدائق السحر في دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ)

ترينا مدى امتزاج البلاغة الفارسية بالعربية في القرن السادس الهجرى · والكتاب ذو أهمية خاصة من هذه الناحية ·

وأزيد الامر وضوحا فأقول : ان أشهر الشعراء الذين نظموا اشعارهم بالفارسية او كتبوا كتبا في الادب الفارسى ، وكانت الغاية منها تقديمها الى قراء الفارسية في ايران خاصة ، كانت تحتوى على مئات الكلمات العربية او على كثير من الاستشهادات العربية · بل بعض الكتاب كان يورد بيتا شطره الاول بالفارسية والثانى بالعربية ويتبعه ببيت شطره الاول يحتوى على تفعيلات لوزن عربي وشطره الثاني شطر شعر عربي(١٩)·

(ثالثا) وثالث هذه المظاهر يمكن حصره في نقاط اهمها ما يأتى :

(أ) ظهور موءلفات بالفارسية لا يتمكن من مطالعتها الا من اتقن الفارسية ومع ذلك فهى ذات عناوين عربية خالصة · ومن امثلة ذلك : « راحة الصدور» للراوندى ، و « حدائق السحر في دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط و « المعجم في معايير اشعار العجم » لشمس الدين محمد بن قيس الرازى وغيرها كثير ·

(ب) انتشار الكلمات العربية بكثرة في الموءلفات الفارسية بحيث نستطيع ان نقول : انه لا يوجد كتاب في الفارسية ــ كتب منذ القرن الثانى حتى الان ، الا وفيه قوائم بالتعابير والكلمات العربية ، حتى أنك تجد احيانا كلمات فارسية نسى أصلها الفارسي وأخذت عن العربية ، كما أورد الثعالبي في فقه اللغة ·

(ج) وجود كثير من معاني الشعر العربى في الدواوين الشعرية الفارسية بل ان أكثر من تأثر بالشعر العربى هم أكثر شعراء ايران شهرة واليك قائمة بأشهرهم مرتبة حسب تواريخ وفياتهم(٢٠):

(١) العنصري المتوفي سنة ٤٣١ هجرية (٢) المندجهري المتوفي سنة ٤٣٢ هـ (٣) قطران التبريزى المتوفى سنة ٤٦٦ هجرية (٤) الاديب صابر المتوفى سنة ٥٤٦ هـ (٥) الانورى المتوفى سنة ٥٦٥ هجرية (٦) سعدى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ ·

وأكثر من تأثروا به هو ابو الطيب المتنبي· ويوءيد هذا الاديب الايرانى رشيد الدين الوطواط فيقول « كل الشعراء الاسلاميين عيال على المتنبى(٢١)» وكان سعدى يطلق على ديوان المتنبي (سفينة بحر المعانى(٢٢)) · ويظهر أن كتاب سعدى المعروف بالكليات كثير التأثر به(٢٣)·

ولعل ذلك يرجع ــ فيما أرى ــ الى أن كلا من المتنبي وسعدى كانوا يميلون الى الحكمة والفلسفة في شعرهم ·

ومما يرجح ذلك أن الشعراء العرب الذين أكثر الشعراء الفرس اخذ المعانى الشعرية عنهم هم :

المتنبى بالدرجة الاولى

ابو تمام بالدرجة الثانية

صالح بن عبدالقدوس بالدرجة الثالثة

ولا يخفي ما في شعر هوءلاء من معان فلسفية كثيرة وحكمة ·

أما ما أخذوه من الشعراء الاخرين فلا يكاد يخرج عن هذا الحكم في الغالب ·

ويوءيد رأينا أن الانوري الشاعر الايراني المشهور (المتوفى سنة ٥٦٥ هجرية) لم يشر في ديوانه الا الى قصيدة المتنبي) احاد ام سداس في احاد)، ولا يخفى ما في هذه القصيدة من معان فلسفية ·

فقد فسر البيت الاول من القصيدة وهو

أحاد أم سداس في احاد   لييلتنا المنوطة بالتنادي

بالبيت التالى :

كأن بنات نعش في دجاها   خرائد سافرات في حداد

وقد فسره «ماسينيون» كذلك وجعل العدد (٧) رمزا لبنات نعش واعتبر طه حسين رأى «ماسينيون» طريفا(٢٤)·

ولا غرابة في ذلك فقد كان المتنبى ـ كما يقول الاستاذ ضيف ، مثقفا بالثقافة الفلسفية التى عاصرته يستعير حكمها وبعض أفكارها وما يطوى فيا من اقيسة منطقية وقوالب فلسفية(٢٥)·



---

(١) احمد امين : ضحى الاسلام ١/١٨٢ وما بعدها (الطبعة الخامسة ١٩٥٦) ، وشوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي صفحات ١١٧ـ١٢٩ (الطبعة الرابعة ١٩٦٠) ·

(٢ ، ٣) علي بن الحسن الباخرزي : دمية القصر ص ٢٨٧ ومواضع متفرقة ·

(٤) ولد « جوته » في فرانكفورت ١٧٤٩ وتوفي في ١٨٣٢ في فايمار Weimar واشهر موءلفاته « فاوست » ، و « آلام فرتر » و «الحقيقة والشعر» : والاخير تاريخ حياته ·

(٥) الشرق والاسلام في ادب جوته : صفحات ٦٩ وما بعدها ·

(٦) جوته : الديوان الشرقي للموءلف الغربي ، صفحات ١١٥ـ١١٦ ترجمة عبدالرحمن بدوي طبعة مصر ١٩٤٤ ·

(٧) نفسه ١٣٨ وما بعدها ٠
(٨) نفسه ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ٠
(٩) الدكتور حسين محفوظ المتنبي وسعدى صفحات ٥ وما بعدها ٠
(١٠) سعدى الشيرازي : كلستان ص ٦٥ ، (عن الكتاب السابق) ، وانظر ابو الجوزي: تلبيس ابليس ص ٢١٤ وما بعدها لمعرفة معنى « السماع »٠
(١١) عبدالرحمن بدوي : شخصيات قلقة ص ٩٥ ٠
(١٢) المتنبي وسعدى ص ٧٣ ٠
(١٣) نفسه ٦٤ ٠
(١٤) نفسه : صفحات ٢٢٦ ــ ٢٧٩ ٠
(١٥) نفسه ص ١٦ ٠
(١٦) المتنبي وسعدى ص ٦٤ ٠
(١٧) بحثنا : مدارس الشعر في العراق وايران في القرن الخامس والسادس ، المدخل (لم ينشر بعد)٠
(١٨) انظر الراوندي : راحة الصدور صفحات ٢٤٠ ــ ٢٤١ ٠
(١٩) انظر المتنبي وسعدى ص ١٥ ، ١٦ ٠
(٢٠) المتنبي وسعدى : ص ١٨ ٠
(٢١-٢٣) نفسه : صفحات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ٠
(٢٤) مع المتنبي : ص ٨٥ (ط دار المعارف بمصر ١٩٤٩) ٠
(٢٥) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٢٣٨ (ط دار المعارف بمصر ١٩٦٠)٠

